# الاستغفار ختام الصيام

د. محمد بن إبراهيم الحمد

الحمد لله غافر الذنوب، وساتر العيوب، والصلاة والسلام على إمام المستغفرين، وقدوة الناس أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد جاء في الحديث المرفوع عن أبي هريرة ﷺ في فضل شهر رمضان «ويغفر فيه إلا لمن أبى».

قالو: يا أبا هريرة! ومن يأبى! قال: «يأبى أن يستغفر الله».

معاشر الصائمين: الاستغفارُ: طلبُ المغفرةِ، وهي سَتْرُ الذنوبِ، والعفوُ عنها، ووقايةُ شرِّها.

والاستغفارُ من أجلّ القربات، وأنفعِ الطاعات، وأعظمِ موانع إنفاذ الوعيد.

والاستغفارُ ختامُ الأعمال الصالحة؛ فيختم به الصلاةُ، وقيامُ الليل، والحجُّ.

ويختم به المجالس؛ فإن كانت ذكراً كان كالطابَعِ عليها، وإن كانت لغواً كان كفارةً لها.

ولما وفّى نبينا ﷺ تبليغَ الرسالةِ والجهادِ في سبيل الله، وأقَّر الله عينه بعز الإسلام، وظهور المسلمين، ودخول الناس في دين الله أفواجاً ـ أمره الله بالاستغفار؛ فكان التبليغُ والجهاد عبادةً قد أكملها، وأداها، فشُرِعَ له الاستغفار عَقِيبها.

وبالجملة فهذه حالُ العبدِ مع ربه في جميع أحواله؛ فهو يعلمُ أنه لا يوفِّي هذا المقامَ حقَّه؛ فهو أبداً يستغفر عَقِبَ كلِّ عمل صالح، فكلُّ أحدٍ محتاج إلى مغفرة الله ورحمته، ولا سبيل إلى النجاة بدون ذلك.

ولذلك ينبغي أن يُخْتَم شهرُ رمضانَ بالاستغفار؛ فهو يكمِّل الصيام، ويرقِّع ما تخرَّق منه باللغو، والرفث.

قال ابن رجب رحمه الله: (ويروى عن أبي هريرة ﷺ قال: «الغيبة تخرق الصيام، والاستغفار يرقِّعه؛ فمن استطاع منكم أن يجيء بصوم مرقَّع فليفعل»).

وعن ابن المنذر رحمه الله قال: «معنى ذلك: أن الصيامَ جُنَّةٌ من النار ما لم يخرِقْها، والكلام السيِّئ يَخْرِقُ هذه الجُنة، والاستغفار يرقِّع ما تخرَّق منها».

«وكتب عُمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الأمصار يأمرهم بختم شهر رمضان بالاستغفار، وصدقة الفطر».

أيها الصائمون: مِنَ الناسِ مَنْ لا يعرف مِنْ موجبات سخط الله، وأسباب عقوبته إلا المعاصي التي

شددت الشريعة في النهي عنها؛ فإذا تابوا من عمل سيء فإنما يتوبون منها؛ فهذه حال عامة المؤمنين.

أما خاصة المؤمنين فحالهم أكملُ وأتم؛ فهم يعرفون أن لكل عمل سيِّء لوثةً في النفس تُبْعِدُ بها عن الكمال، ويرون أن لكل عمل صالح أثراً في النفس يقربها من الله -عز وجل- والتقصير في الصالحات يعدُّ عند هؤلاء من الذنوب التي تهبط بالنفس، وتبعدها عن الله؛ فالنفس إذا قصَّرت فيها تتوب؛ وإذا استمرت لم تأمنْ من النقائض والعيوب.

ويختلف اتهامُ هؤلاء لأنفسهم باختلاف عِلْمِهم بصفات النفس، وما يعرِضُ لها من الآفات في سيرِها، وعلمهم بكمال الله، ومعنى القرب منه، واستحقاق رضوانه.

ولهذا ترى هؤلاء الكمّلِ يسارعون في الخيرات، ويبادرون إلى التوبة والاستغفار؛ لشعورهم بالنقص في العمل والتقصير في حق رب الأرض والسماوات.

أيها الصائمون: للاستغفار فضائلُ جمَّة، وأسرار بديعةٌ، وبركاتُ متنوعة، فمن ذلك أنه طاعة لله، وأنه سبب لمغفرةِ الذنوب، ورفعةِ الدرجات، ونزول الأمطار، والإمدادِ بالأموال والبنين ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾.

والاستغفارُ سببٌ في زيادة القوة والمتاع الحسن، ودفع البلاء، وحصول الرحمة.

قال -تعالى-: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾.

وقال على لسان هود -عليه السلام-: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾.

وقال -عز وجل-: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

قال لقمان -عليه السلام- لابنه: «يا بني عوِّد لسانَك الاستغفارَ، فإن لله ساعاتٍ لا يَرُدُّ فيهن سائلاً».

قالت عائشةُ -رضي الله عنها-: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً».

وقال أبو المنهال رحمه الله: «ما جاورَ عبدٌ في قبرِه من جارٍ أحبَّ إليه من استغفارٍ كثير».

وقال الحسنُ رحمه الله: «أكثروا من الاستغفار؛ فإنكم لا تدرون متى تنزل الرحمة»

وقال قتادة رحمه الله: «إن هذا القرآن يدلُّكم على دائكم ودوائكم؛ فأما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار».

وقال بعضهم: «فمن أهمّتهُ ذنوبُه أكثر لها من الاستغفار».

ومما يدل على عِظم شأن الاستغفار أن الله ـعز وجلـ جمع بينه وبين التوحيد في قوله: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾.

وفي بعض الآثار أن إبليس قال: «أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بـ: لا إله إلا الله، والاستغفار».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «شهادةُ التوحيدِ تفتح بابَ الخير، والاستغفارُ يغلقُ بابَ الشر».

معاشر الصائمين: للاستغفار صيغ عديدة، وأفضلُها أن يبدأ العبد بالثناء على ربه، ثم يثنِّي بالاعتراف بذنبه، ثم يسأل الله المغفرة كما في حديث شداد بن أوس في صحيح البخاري عن النبي ﷺ قال: «**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي؛ فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**».

ومن صيغ الاستغفار: «**استغفر اللهَ الحيَّ القيومَ وأتوب إليه**».

قال ـعليه الصلاة والسلامـ: «من قاله غُفر له وإن كان فر من الزحف»

رواه أبو داود، والترمذي، وجوّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب.

وفي كتاب عمل اليوم والليلة للنسائي عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله! كيف نستغفر؟ قال: «قل: **اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا؛ إنك أنت التواب الرحيم**».

وفيه ـأيضاـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما رأيت أحداً أكثر أن يقول: **أستغفر الله وأتوب إليه** من رسول الله ﷺ».

وعن ابن عمر ـرضي الله عنهماـ قال: «إنْ كنا لنعُدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائةَ مرةٍ يقول: «**رب اغفر لي وتب عليّ؛ إنك أنت التواب الرحيم**».

رواه أحمد، وأبو داود، والبخاري في الأدب المفرد، والترمذي، وابن ماجة، وصححه ابن حبّان

ومن أخصر الصيغ وأشهرها: أستغفر الله، ورب اغفر لي.

معاشر الصائمين، هذا هو الاستغفار، وهذا فضله، وتلك صيغه، فما أحرانا في نهاية شهرنا أن تلهج ألسنتنا بالاستغفار، وما أجمل أن يكون الاستغفار لنا خير دثار فيما نستقبله من أيام.

اللهم تقبل صيامنا، وتجاوز عن تقصيرنا وتفريطنا، وصلّ اللهم وسلّم على نبينا محمد.